

## 1650 - الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (56)

## الإدراك (17)

## علاقة الإدراك بالوجدان (العواطف) (2 من 2)

## مقدمة:

عرضنا أمس فرضا (أو اقتراحا أو مناقشة) حول كيف يمكن أن يكون الإدراك أقرب إلى الوجدان (العواطف) من قرينه إلى التفكير أو الفهم، فإذا رجعنا إلى أصل كلمة الوجدان في المعاجم (باعتبار المعاجم مجرد استهداء إلى تطورها هذا اللفظ في هذه اللغة العبرية)، وجدنا أن مادة "وجد" [1] فيها من معاني المعرفة والتبيين بقدر ما فيها من معاني العاطفة والانفعال.

ففي حين أنها تعبر عن الحزن والغضب (وجد عليه) والحب (وجد به) والكراهية (أوجده على الأمر أكرهه) فهي تعبير عن معاني المعرفة والتبيين (وجد زيدا ذا الحفاظ)، وهي تمتد إلى ما يتعلق بمعنى المعرفة والتبيين: حين لا تستعمل بلا حرف جر: وَجَدَ زيدا ذا الحفاظ، "وجدك عائلا فأعني"، وقريب من هذا معنى العثور على، أو الحصول على: أوجده الشيء جعله يجده: يظفر به. ثم إن لنفس اللفظ معنى يتعلق بالإبداع والخلق: أوجده الله: أنشأه من غير سابق مثال، وهو أقرب إلى الوجود بما هو ضد العدم، وجد: خلاف عدم.

وتمتد المعاني إلى ما يتضمن ما هو أكثر عيانية فيما يتعلق بالإشارة إلى: السعة، والكثرة، والبسط، ومن ذلك: أوجده الله: استغنى غنى لا فقر بعده، وبرغم كل هذا الثراء في تجليات اللفظ وإحاطته فقد أقره مجمع اللغة اصطلاحيا ليعنى:

أولا: كل احساس أولى باللذة أو الألم،

وثانيا: (لبدل) على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة والألم في مقابل أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة،

وهذه المقابلة التي تبدو مقابلة استقطابية ضدية هي التي نحاول أن ننفجها الآن فإذا انتبهنا إلى المحاذير التي قدمناها في بداية هذا البحث راعنا تصور الآثار التي يمكن أن تترتب على أي استعمال ضيق، يبعد لفظ الوجدان بكل إحياءاته السابقة وشموله المتراعى عن أي معنى سوى هذا التعريف الأخير الخامل، بمعنى أننا لو اقتصرنا على هذا التعريف المجمعى الأحدث لابتعدنا عن كل نبض إنسانى أعقد تركيباً وأشمل إحاطة، وأعلى ولافاً، وبالتالي سوف يتلم الوجدان كأداة معرفية أسبق عن، وأحد من، ما يسمى تفكيراً (تجريبياً خاصة)، هذا الاختزال إنما يلغى تاريخ اللفظ وتوجهاته المتضفرة في ذات اللفظ بين الدفع العاطفى المختلف الاتجاه، وبين الإبداع من العدم مغلفاً بالقدرة المعرفية المدركة إدراكاً سبقياً متصلاً بالسعة والقوة والرى والطمانينة؟؟،

ألم يصلنا فى كل هذا مدى حركية اللفظ كما تجلت لنا مما سجلته بضعة

معاجم؟ [2] فما بالك بتاريخه الحقيقى حتى تضمن كل ما تضمن،

ألا يشير كل ذلك إلى ما يمكن أن نخنتق فيه لو أننا رضينا بالاستعمال "المجمعى" الأحدث للفظ الوجدان بهذه الصورة المختزلة؟

لا يحتج محاور بأن الاستعمال الأدبى والعام شىء، فى حين أن الاستعمال الفلسفى والعلمى شىء آخر، لأنه إذا جاز هذا الفصل التام فى العلوم البحتة، فهو لا يجوز فى العلوم الانسانية، والنفسية خاصة، ثم إننا بهذا الاختزال إنما نلصق لفظاً عريقاً كلافته على ظاهرة لم ننتبين معالمها أصلاً، بدلا من أن نستلهمه ما ينبغى أن نبحت فيه، لأن اللفظ إذ انشأ وتطور، إنما ينشأ وهو يلامس ظاهرة ما، ثم هو يحاول احتواءها، فيكشف ويكتشف تعدد وجوهها، وثناء عطائها، فيتحرك فى سياقات متعددة ومتنوعة، ثم يلحق به حرف مساعد، أو تسبقه أداة موضحة، فيقترب ويبتعد، ويجتهد لاحتواء مضمون مناسب لما يريد وصفه، ثم يعجز - عادة - فتفويض عن حدوده تولدات الظاهرة الأرحب، فيلاحقها باستعمال جديد، أو يساعده لفظ جديد، وهكذا.

ولقد قلنا سابقاً إن الظاهرة أسبق من تسميتها، ولكنها ليست بالضرورة أسبق من

لغتها الأساسية، ذلك أن التركيب اللغوى الغائر هو أسبق حتماً من التحديد اللفظى (المعجمى بالذات) - ونذكر القارىء هنا أيضاً أن التحديد اللفظى المتنوع فى السياق هو أسبق من التحديد العلمى المصطلحى، لكن التحديد العلمى فى هذه المنطق بالذات من العلوم النفسية - يرتد بالآثر المختزل والمشوه لما هو أشمل لغة وأرحب وجوداً.

هذا عن علاقة الوجدان بالمعرفة والتبيين التي هي - بشكل ما - "الإدراك"،

فإذا انتقلنا إلى علاقة الوجدان بالكلام [3] فإن ما أثير فى الندوة كان أكثره عن

حبس العاطفة فى لفظها، وأيضاً عن كيف يلغى الحديث عنها، أو الكلام فيها أو الشكوى بها عن معاشتها، وأخيراً كيف يتفوق الشعر (بالفصحى و العامية) بوجه خاص فى

وصف العواطف (الوجدان) عن مجرد تعريفها بتعريف جامع مانع.  
واليك الأمثلة المتاحة، وقد عرض أغلبها - شعرا - في ندوة المقطم.

**أولاً: صعوبة وصف إحساس حقيقي غامر**

(هذا حدث حقيقي مرّ بالكاتب فسجله شعرا هكذا):

.....

.....

واهتز كياني بالفرحة، ليست فرحة،

بل شيئا آخر لا يوصف،

إحساس مثل البسمة، أو مثل التّسمة في يوم قانظ،

أو مثل الموج الهادئ حين يداعب سمكة،

أو مثل سحابة صيف تلثم برد القمة،

أو مثل سوائل بطن الأم تحتضن جنينا لم يتشكل

أى مثل الحب..

بل قبل الحب وبعد الحب،

نبض يتكور في جوفى لا فى عقلى أو فى قلبى،

وكأن الحبل السرى يعود يوصّلتى لحقيقة ذاتى ..

هو نبض الكون

هو الروح القدسى ، أو الله

.....

**ثانياً: نفى الزعم بأن الفصامى متبلد الشعور أو منعدم العواطف**

وقد تقمص الكاتب فصاميا وكيف أنه عجز عن وصف مشاعره الأعمق والأدق

بألفاظ شائعة، فبدا متبلدا ويدخله ما بداخله، قال:

.....

.....

أحكى فى صمت عن شئ لا يحكى

عن إحساس ليس له اسم

إحساس يفقد معناه، إن سكن اللفظ لميت .

شئ يتكور فى جوفى

يمشى بين ضلوعى

يصاعد حتى حلقى

فأكاد أحس به يقفز من شفتى

وفتحت فمى:  
لم أسمع الا نفسا يتردد  
إلا نبض عروقى  
ويحثت عن الألف الممدودة  
وعن الهاء  
وصرخت بأعلى صمتى  
لم يسمعى السادة  
وارتدت تلك الألف الممدودة مهزومة  
تطعننى فى قلبى  
وتدحرجت الهاء العمياء ككرة الصلب...،  
داخل أعماقى  
ورسمت على وجهى بسمة  
تمثال من شمع  
ورأيت حواجب بعضهم ترفع  
فى دهشة  
وسمعت من الآخر مثل تحية  
ظهرت أسناني أكثر،  
وكأنى أضحك  
ومضيت أوصل سعبي وحدى  
وأصارع وهمى بالسيف الخشبي  
السيف المجذاف الأعمى..  
والقارب تحتىَ مَثْقوب  
والماء يعلو فى دأب  
والقارب تحتى يتهاوى ..  
فى بظء لكن فى إصرار  
فى بحر الظلمة  
فى بحر الظلمة .  
\*\*\*\*

**ثالثا: كيف احتج "صلاح جاهين" على اختزال الحزن الجليل  
(إلى اسم "مرض" "زى البرد زى الصداغ")**

يا حزين يا قـمـم تحت بحر الضياع  
حزين أنا زيك وإيه مستطاع  
الحزن ما بقالهوش جلال يا جدع  
الحزن زى البرد .. زى الصداع

\*\*\*\*

#### رابعاً: كيف صَنَّف صلاح عبد الصبور أنواعاً من الحزن

أنواعاً لا تخطر على بال طيبب نفسى غالباً، فوصف الحزن الموقظ للحنين ثم الحزن حين يشتعل لهيباً، لكنه يتجمع فى إشراقه الغد، وأيضاً وهو بيعث الفرح الحبيب ..، ثم أخيراً كيف يمكن أن يتشوه فى مسخ غامض غريب (فهو الحزن المرضى غالباً)

.....

.....

حزنى غريب الأبوين، لأنه تكوّن ابن لحظة مفاجئة، ما مخضته بطن.

أراه فجأة إذ يمتد وسط ضحكتي

لقد بلوت الحزن حين يزحم الهواء بالدخان، فيوقظ الحنين

ثم بلوت الحزن حين يلتوى كأفعوان فيعصر الفواد ثم يخنقه

ويعد لحظة الإسار يعتقه

ثم بلوت الحزن حينما يفيض جدولاً من اللهب

يتجمع فى إشراقه الغد

ثم يمر ليلنا الكئيب

ويشرق النهار باعنا من الممات: جذور فرحنا الحبيب.

لكن هذا الحزن مسخ غامض غريب

ويعد

هل يجوز يا سادتي أن يتجمع كل ذلك فى شىء اسمه "الاكتئاب"، (زى البرد زى الصداع)؟!

(ملحوظة: العجيب الرائع أن كل ذلك ورد فى قصيدة عبد الصبور المسماه "أغنية

إلى الله"، هل صدقتكم أن الإدراك الحقيقى، لتصعيدى جنباً إلى جنب الوجدان الجدلى

النامى هما الطريق إلى الله، فرض هذا البحث الأساسى!؟)

\*\*\*\*

#### خامساً: ومن قصائدى

يبدو أننى حين عجزت عن وصف علاقتى بالحزن من خلال مهنتى أو من خلال

خبرتى، لجأت إلى الشعر باعتباره الأقدر على توصيف الوجدان دون خنقه [4].

(1) فجاء فى قصيدتى (الريح والأحزان)

.....

يتحفظ حزنٌ أبلجُ  
حزنٌ أرحبُ من دائرةِ الأشياءِ المنثورةِ  
الأشياءِ العاصيةِ النافرةِ الهيجىِ  
حزن أقوى من ثورة تشكيل الكلمات  
حزن يصرخ بكما  
يشرق ألما  
حزن يستوعب أبناء الحيرة  
يجمع أطراف الفكرة  
يوقد نار الأحرفِ والأفعالِ

حزن يحنو، يدمي، يلهب، يصرخ،  
يُحيى روحاً ميتةً ضجرةً.

1982/5/6

(2) وفى قصيدتى "حزنى كلمة" جاء بربط الحزن بصعوبة عمل علاقة حقيقية بـ  
"آخر" (أو أخرى) ثم تحمّل أعباء هذه الصعوبة، ومحاولة اختراقها ونحن نحترم الحزن  
الدافع إليها "بما هو"!

-1-

حُزنى كلمه،  
تمحو صَمَت الموتِ.  
حزنى أقوى، أظهرُ من شمس البهجة.  
حُزنى أصل الأشياءِ.

-2-

لا تقتربى،  
لا أحملُ لمسات حنانكُ.  
تقع الكلمةُ فى غير الجملة،  
أتراجعُ.  
يلفظنى الرحم الغادرُ،  
فأسارعُ،  
لا أعير حدَّ الخوفِ.  
يغمزنى، يغمزنى حتى أرنبة الأنفِ،

لا أغرق،  
لا أسبح  
تتباع كل الشيطان.  
يتكاثر خدر الغربة والإنهاك.  
أتمسك بحبال الأنفاس المقطوعة،  
يحتد الوعي،  
فأخاف.

-4-

يكفيني حرفاً ضلّ طريق الكلمة.  
أجمع أطراف المعنى.  
"لا تمضي،  
لا تقتربي".  
لأصارع موتى وحدي  
- دون غيابك -  
يصرعه حزني الأشهب

1982/12/8

\*\*\*\*

#### سادسا: وللأطفال بالعامية المصرية

ثم إنى لما فاض بى عجزى أن أخطب الكبار الذين يحزنون حزناً موسى عليه من الأطباء فلا يسمحون لأنفسهم بتصديقى ليعايشوا عواطف "أصيلة" بعيدا عن تجارة الأدوية، أقول لما بلغ بى العجز مبلغه، ولاحت لى فرصة لمخاطبة الأطفال، كتبت عن نفس الموضوع أرجوزة أو أغنية تحوى كل ما جاء سابقا، بما فى ذلك علاقتها بالإدراك (العواطف عقل تانى) وأيضا وظيفتها فى تخليق الجدل الضام لمستويات الوعي (هيه لمانى على بعضى معايا) وكذلك لرفض الطمأنينة الخاملة التى تسمى أحيانا "السعادة"، وكذلك رفض الحب الفنائى (أموت فيك وتموت فى) ثم كيفية ترويض العواطف دون كتبها حتى يصبح الفارس فرسا وبالعكس، ثم تداخل المستويات مع بعضها البعض فى كل يصعب تجزيه أو تسميته وإلا تشوه، ثم تناسبها مع الموقف ورفض الأحضان الزائفة، ثم دور الوجدان فى توثيق العلاقة بالآخرين برغم الصعوبة، وأخيرا علاقة كل ذلك بالفطرة (ربى كما خلقتنى) وبتوجهنا لمعرفة الله بها، وبتجليها فى جدل مستويات الإدراك،  
قلت للأطفال:

.....

.... والعواطف حلوة خالص

أنا فرحان، وانت هايس،

بس هيّه مش مجرد يعنى فرحة

ولآ غم وهم، أو غيظ أو مقاوحة.

العواطف مش حكاية حب، أو دمع الولايا

هيّه لماني على بعضى معايا،

اصل باين إن يعنى: العواطف عقل تانى

مش بعيد مالاولانى

العواطف ما فيهاش إنك تتنخ: يعنى تتظمن وبس

أو تموت فى اللي احتواك من دون تحسن

العواطف زى ما تكون مهر جامخ

وانت فارس، بس فالخ

يعنى راكبه تلجمه،

مش تكتمه

يعنى قصى تعلمه

مش تشكمه

آه: توريه انه يطلع كل مطلع:

واحد واحد

واما يرمخ، برضه يرمخ، واحد واحد

بعد حبة وقت وشوية علام،

مش حا تحتاج اللجام

تلقى نفسك، وانت فارس: الفرس

والفرس تلقاه بقى ضمن الحرس

يعنى يحرس شطحه من حسن علامه،

بعد ما تكون سبت إيدك من لجامه

العواطف هيّا حاجة كلتها على بعضها

مش ضرورى تسمى يعنى كل واحد باسمها

هي حلوة بدون كلام

حتى مش محتاجة حضن، أو سلام

هي حلوة لما تطلع فى أوانها

لما تتحط فمكاتها  
 العواطف تحلى خالص لما تبقى الأصلائية  
 يعنى نبقى إحنا بيها فينا بينا: يعنى هية  
 لو تعب عنها ماشى، قوم تشارك،  
 لو تعيشها حتى وحدك:  
 تملا روحك "باللى هوأ"، الله يبارك.  
 لما تتبادلها مع غيرك، ترعزع  
 هي سرّك، لو تهدي أو تولع  
 سوف تلقى الكون دا مليون كل حاجة  
 تبقى كاره ما يسمي: اللجاجة والسماجة  
 يبقى عقلك، هوأ حسك، هوأ قلبك  
 تلقى كل الناس معاك،  
 تلقى كل الناس معاك،  
 زى ما ريك خلقهم،  
 مش على رسمه هواك  
 تحتل للى مخالف  
 برضه تفرح باللى يستحمل بلاويك، مهما كانت، أصله شايف،  
 رينا يبارك ويرضى عالى جارى، واللى كان،  
 ترضى عنه انت كمان.

\*\*\*\*

#### ويعد

هل سوف تحتملوننا الأسبوع القادم حين ننتقل من علم الإدراك إلى عكسه، أعنى  
 "علم الكلام" (الإسلامى خاصة)؟

- [1] - لفظ "وجدان" هو مصدر من فعل "وجد" (بفتح الجيم وكسرها: وجدّ، وجدّ) ويختلف مفهوم مشتقات هذا الفعل واستعمالاتها باختلاف رسمه، وتشكيله، وحرف الجر الملحق به، ثم السياق الوارد فيه.
- [2] - أعتد فى الرجوع إلى معنى اللفظ هنا وفيما بعد على المعجم التالية: لسان العرب (ابن نظير)، القاموس المحيط (الفيروزبادي) أساس البلاغة (الزمخشري) ثم الوسيط (المجمع اللغوي).
- [3] - خاصة وأنا سوف نتناول الأسبوع القادم علاقة "علم الإدراك"، بـ "علم الكلام" (الإسلامى).
- [4] - كما نبهنا فى الندوة د. محمد يحيى الرخاوى